حُقُوقُ المَرْأَةِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ
(التعليم انموذجاً)

أ.د. عبد الكريم العبادي م.م. نعمة حمد النجار

جامعة المصطفى العالميـــــة

فحوى البحث

تقف المنظومة الانسانية في الاسلام على يقين ثابت بأن الرجل والمرأة من جنس واحد ومن تكوين واحد وطينـــة واحدة قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إذ فرّق بين خير مخلوقاته بالتقوى وجعلها سبحانه مقياس المفاضلة فضلاً عما ميّز سبحانه وتعالى فضل المرأة إذا كانت أماً صالحة وزوجة مطيعة.

وقد تناول البحث مسألة تعليم المرأة كأنموذج لحقها الطبيعي في المجتمع الاسلامي.

مقدمـــــة:

إنَّ المتتبع لشأن المرأة في الدول العربية ذات الطابع الإسلامي، ومن خلال قنوات الإعلام المتعددة كصحف ومجلات وقنوات فضائية وانترنت وغيرهـــا من الوسائل، يجدها قد تعرضت إلى حيف وظلم واضح في مختلف القطاعات سواء كانت إقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو علمية أو غيرها، وما أردنا التكلم عنه في هذا البحث هو حقها الشرعي في التعلم، إذ لازال البعض ممن يتشدق بالإسلام ويرفع شعاراته يحرم تلك المرأة منه، ولسنا ببعيدين عن بعض الحركات المتطرفة التي ترفع شعار الإسلام كداعش اللاإسلامية في العراق وسورية، وطالبان في أفغانستان اللتان تحرمان على المرأة الالتحـاق في المدارس الأكاديمية لغرض التعلم فيهـا مخالفين لأبسط بديهية من بديهيـــات الإسلام ألا وهو حقها في ذلك. وسعينا جاهدين لأن نتكلم عن هذا الحق ونثبته من خلال الكتاب المبارك الذي أُنزل كي يكون دستوراً ينطلق منه جميع أبناء هذه البسيطة في إدارة مختلف قطاعات حياتهم كي يعم الوئام والسلام في ربوع أرضنا.

وقد تناولنا في هذا البحث ثلاثة مطالب:

فالمطلب الأول تكلمنا فيه عن مفردة الحق لغة واصطلاحاً، وما المراد منها شرعاً وقانوناً، وفي المطلب الثاني فقد تكلمنا عن حقيقة النفس الإنسانية الواحـدة التي خُلِق منها الرجـل والمرأة، ومايشتركان فيه من حقوق وواجبـات، وأما المطلب الثالث والأخير والذي هو محط رحالنا فقد تكلمنا فيه عن حقها في طلب العلم من الناحية القرآنية إذ تطرقنا إلى جملة من الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك، وفي نهاية المطاف أشرنا إلى أهم النتائج التي استطعنا الوصول إليها، والركون عندها.

المطلب الأول:

١. **مفردة الحق.**

تعد مفردة الحقِّ من المفردات التي لها مدار بحث بين المختصين، وكلٌ يرى استعمالها من الجـانب الذي يستعمله، والذي يخوض فيه، إذ أشارت إليها مصادر اللغة باعتبارها مفردة من المفردات العربية الرصينة، واستعملها القرآن في الكثير من

الموارد لما لها من أهمية تعبيرية خاصة، و أيضاً استعمالها المختصون في القانون.

الحق لغة واصطلاحاً:

الحقُّ: (لغـــة): هو خلاف الباطل، و «حَقَّ الشيء» إذا وجب وثبت، و «حَقَّتِ» القيامة «تَحُقُّ» أحاطت بالخلائق فهي «حَاقَّةٌ» ومن هنا قيل «حَقَّتِ» الحـاجة إذا نزلت واشتدت فهي «حَاقَّةٌ» أيضاً، و «حَقَقْتُ» الأمر «أَحُقُّهُ» إذا تيقنته أو جعلته ثابتاً لازمًا[1].

ويقـــول الجوهري: (الحق: خلاف البـاطل. والحق: واحد الحقوق. والحقة أخص منه. يقال: هذه حقتى، أي حقى. والحقة أيضاً: حقيقة الامر. يقال: لما عرف الحقة منى هرب، وقولهم: لحق لا آتيك، هو يمين للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت بعد اللام، وإذا أزالوا عنها اللام قالوا: حقاً لا آتيك)[2].

ويذكر صاحب المقاييس بأنَّ الحق: (يدل على إحكام الشيء وصحّته، فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثم يرجع كلُّ فرعٍ إليه بجَودة الاستخراج وحُسْن التّلفيق ويقال حَقَّ الشيءُ وجَبَ)[3].

ونستطيع أن نستنتج من خلال ماتقدم على أنَّ المراد من مفردة الحق عند أهل اللغة هي خلاف الباطل.

المعنى الاستعمالي لمفردة الحق.

استعملت هذه المفردة في كتاب الله تعالى مرات عديدة، وبألفاظ مختلفة، وكل لفظة تدل على معنى خاص وفقاً للقرينة ووحدة السياق لتلك المفردة، إذ تكرر ذكرها في الكتاب المبارك مايقرب من ٢٤ مرة، ويمكن أن نذكر البعض منها، والتي تدل على معان متعددة، إذ يقول الراغِبُ، والحق يقال على أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل فى الله تعالى هو الحق، إذ قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ ﴾[سورة الانعام: ٦٢].

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق، كقولـــه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾[سورة يونس: ٥]، وقوله عز وجل ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[سورة البقرة: ٢٦].

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر مايجب، وفي الوقت الذى يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة يونس: ٣٣] وقوله عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١] يصح أن يكون المراد به الله تعالى ويصح أن يراد به الحكم الذى هو بحسب مقتضى الحكمة، ويقال أحققت كذا أي أثبته حقاً أو حكمت بكونه حقاً، فإحقاق الحق على ضربين: أحدهما بإظهار الأدلة والآيات كما قال تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[سورة النساء: ٩١] أي حجة قوية، والثاني بإكمال الشريعة وبثها إلى كافة الناس كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٣]، وقوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [سورة الحاقة: ١ -٢] إشارة إلى القيامة لأنه يحق فيه الجزاء، ويقال (حاققته فحققته أي خاصمته في الحق فغلبته)[٤].

الحق إصطلاحاً:

لقد عرف أهل العلم وأصحاب الاختصاص هذه المفردة بأكثر من تعريف وإن كان فحوى كلامهم متقارب في ذلك، وهي كالتالي:

١. أورد المحقق الأصفهاني في تعريف هذه المفردة عدة تعاريف، منها: (أنَّ الحق بمعنى السلطنة، أو أنَّ الحق هو الملك)[٥].

واما السهنوردي فيذهب إلى أن الحق العيني هو: (سلطة يعطيها القانون لشخص على شيء معين)[٦].

وقد عرف من قبل العنبكي على أنه:

(استئثار شخص بمزية يقررها القانون له، ويخوّله بموجبها أن يتصرف في قيمة معينّة باعتبارها مملوكة أو مستحقة له)[٧]، ويعرفه مصطفى الزرقا بأنَّه: (اختصاص يقرر به الشرع سلطنة أو تكليفاً)[٨].

ويوضح هذا التعريف بذكر مثال لكل من (السلطنة) و(التكليف) قائلاً: (كحق الولي في التصرف على من تحت ولايته، فإنه سلطنة لشخص على شخص، وكحق البائع في طلب الثمن من المشتري، فإنه تكليف على الثاني لمصلحة الأول)[٩].

ويعد هذا التعريف شاملاً كما يذكر البعض إذ يقول: (نرى شموله لجميع أنواع الحقوق الدينية كحق الله تعالى على عباده من صلاة وصيام وغيرها من العبادات، والحقوق المدنية كحق لتملك، والحقوق الأدبية كحق الطاعة للوالد على ولده والزوج على زوجته، والحقوق العامة كحق الدولة في ولاية الرعية لها، وفي إقرار النظام وقمع الإجرام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحقوق المالية كحق النفقة، وغير المالية كحق الولاية على النفس)[١٠]، و هذا مختارنا من مفردة الحق.

المطلب الثاني:

الحقيقة الإنسانية:

هنا لا بد أن يطرح هذا التساؤل: هل الإنسانية التي يحملها زيد هي نفس الإنسانية عند هند أم تختلف من شخص إلى آخر؟. الإنسان بما هو إنسان لا يوجد له تشخيص في الخارج إلا في مصاديقه.

فلا إشكال ولا ريب إن إنسانية زيد حصة خاصة تختلف عن إنسانية عمرو وعن هند وإنسانية هند تختلف عن إنسانية زينب وهكذا كل إنسان في الوجود له إنسانيته الخاصة به التي تختلف عن الأخر، أذن فالإنسانية تختلف لأن الحصص غير الطبائع.

نعم؛ إنما يشترك الجميع بطبيعة واحدة، يعبر عنها علماء المنطق بقولهم (الإنسان حيوان ناطق)؛ ولكن كل فرد له حصة خاصة كما مر.

المرأة والرجل من نفس واحدة:

لقد جاء الإسلام بنظامٍ ودستورٍ قلّ نظيرهُ في حياة البشرية كافة وعلى الإطلاق، ليعلن للعالم بأسره أن المرأة والرجل من جنس واحد ومن تكوينة واحدة

ومن طينة واحدة لا فرق بين مادة الذكر والأنثى فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾ [سورة النساء: ١]، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [سورة النحل: ٧٢].

وجعل المعيار والتفاضل بينهم التقوى، التي بها يتميز الأفضل من الإنسان أبيضاً كان أو أسوداً رجلاً كان ام أنثى كبيراً كان أو صغيراً فالكل سواسية أمام الله، فالتقوى هي المعيار الحقيقي والذي يعتبرها الإسلام مقياس الأفضلية بين الرجل والمرأة سواء في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

الاشتراك بالحقوق والواجبات والتكاليف:

أشكل البعض على انه هناك فرق بين الذكر والأنثى، وغير ممكن تحقيق العدالة بينهما، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦]، فكيف تقولون بالتساوي؟. في معرض الجواب؛ لأن الأُنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد المقدس، لما يلحقها من الحيض، وإنما يختص الغلمان بذلك، هذا لا يعني سلبها الحق بل الآيات والروايات صرحت بذلك.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، والمرأة من الإنس هي والرجل على صعيد واحد؛ خلقت لهذه الغاية الطاعة والانصياع لأوامر الباري سبحانه.

وقد أعلن الإسلام للحضارات والأمم، بل ولكل العالم أن للمرأة الحرية المطلقة في اختيار الدين والتدين والتعبد لقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٧].

يستفاد من صريح الآية الكريمة، أن إيمان المرء وعمله الصالح الذي يعتبر ثمرة إيمانه، هو المعيار الوحيد في ميزان الله،

وليس هناك قيد أو شرط آخر لبلوغ الحياة الطيبة، والأجر الأخروي، لا من حيث الذكورة والأنوثة، ولا من حيث العمر ولا من حيث العرق أو القبيلة أو القومية ولا من حيث المقام والمرتبة الظاهرية لقوله تعالى أيضاً: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[سورة آل عمران: ١٩٥].

والمرأة إما أماً، أو بنتاً، أو زوجة، أمر القرآن الكريم، بمراعاتها بكل هذه العناوين، لا من باب أراد ان يفضلها على الرجل؛ بل من باب الظلم الذي كان واقعا عليها، ومن باب تساوي الرجل والمرأة بالحقوق والواجبات لأجل تحقيق العدالة في مختلف شرائح المجتمع.

فمن حيث هي أُمّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] وأما من حيث هي زوجة، فقد أمر القرآن الكريم، بمعاشرتها بالمعروف: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾[سورة البقرة: ٢٣١]، وأما من حيث التكاليف الشرعية فكان الخطاب شاملا لكل من الجنسين: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[سورة الأحزاب: ٣٥].

فتحقيق العدالة بين فئات المجتمع من المفاهيم العميقة والمتجددة والفاعلة التي يسعى إليها الإنسان ومن خلال النصوص الإسلامية نجد الإسلام أول حضارة وضعت هذا القانون الإنساني ودعت إلى تطبيقه.

١. في الإنسانية.
٢. في الكرامة.
٣. في الإيمان بالله تعالى.
٤. في التكاليف الشرعية.
٥. في التربية والتهذيب.
٦. في العلم والعمل.

٧. في الحساب، والثواب.

تحصل مما تقدم ان الأصالة في جميع التكاليف كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة،... إلخ، والمعاملات، فالخطابات الشرعية شاملة للذكر والأنثى، للرجال والنساء، فالخطابات الواردة في القرآن الكريم، جاءت بهذا الشكل «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ»، هذا شامل للرجال والنساء للذكور والإناث على حد سواء، وأيضا هذه الخطابات «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»، سواء في المدح أو الذم، أو الأمر أو النهي، إلاّ ما خرج بالدليل بمعنى أن هنالك فرقاً بين التكليف الخاص بالرجال، أو التكليف الخاص بالنساء، وهذا الفرق لا بد من وجود دليل عليه، وان فقد الدليل يبقى أصل الاشتراك حاكماً.

وهذا ما سنقف على حقيقتـه في هذا المبحث إن شاء الله تعالى، أي أمر خارج عن هذا الأصل أو داخل فيه.

المطلب الثالث:

حق المرأة في التعليـــــم:

حسب ما مر علينا من قاعدة الاشتراك في الإنسانية، وفي التكاليف الشرعية بين الذكر والأنثى، فحق التعلم والتعليم للمرأة ثابت لها وذلك للأصل الأولي وهو أصالة البراءة فلا يمكن منعها من هذه الوظيفة، إذ منعها يوجب المحاذير الآتية:

أ. **تحريم ما أحل الله:**

أن منع المرأة من التعلم والتعليـــم، تشريع محرم حيث لم ينه الشارع المقدس من أن تقوم المرأة بوظيفة التعليم مع الحفاظ بحجابها: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[سورة النحل: ١١٦].

وتحريم ما أحل الله تعالى، كإباحة ما حرم الله، فكل من يمنع المرأة من هذه الوظيفة، قد نصَّب نفسه مشرعًا مع الله تعالى: ﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[سورة يونس: ٥٩].

ب. **تفويت مصلحة:**

لا شك ولا ريب أنَّ حرمان المرأة من التعلم والتعليم هي خسارة للمجتمع من حيث إنَّ المرأة عنصر فعال في المجتمع، والعقل يحكم أنَّ العالم أفضل من الجاهل

والله تعالى يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر: ٩].

وهذه خطابات يشترك فيها الرجال والنساء، فعدم اشتراك المرأة في هذا المغنم واقعاً يُعَدُّ تفويتاً للمصلحة وخسارة لا تعوض.

وأنَّ المتنور بنور المعارف يسهم في تطور نفسه ومجتمعه وازدهاره نحو مستقبل سعيد كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة فاطر: ١٩]، لأنَّ الأعمى هو الجاهل بالمعارف، والبصير وهو العارف، والمعرفة لا تأتي لا بالتعلم والتعليم.

ج. **أهمية تعليم المرأة:**

١. النّهوض بعقليّة المرأة وتوسيع مدراكها وطريقة تفكيرها، فالتّعليم هو طريق معرفة ما حولنا وفهم متغيّرات الكون والحياة كما أنّ العلم بأدواته المختلفة يعمل على تنوير العقول، واستثارتها، وتحفيزها للتّفكير والإبداع والتّحليل، كما يعمل على توسيع مدارك الإنسان وتنويع طرق تفكيره، فالمجتمع يحتاج لجهود المرأة باستمرار لتقف جنبًا إلى جنب مع الرّجل إذ تقوم بالمهام التي تتوافق مع صفاتها وقدراتها النّفسيّة والجسمانيّة؛ وبأداء المرأة لدورها في المجتمع تتكامل الأدوار في سبيل تقدّم المجتمع ونهوضه.

٢. تعليم وتربية الجيل، فالمرأة حين تعدّ إعدادا صّحيحا تصبح مؤهّلة لتقدّم الرّسالة التّعليميّة والتّربويّة التي ينتظرها المجتمع منها، وهذا ما حث عليه القرآن الكريم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]، فمن غير معقول أن الله تعالى يأمرنا بالدعاء ليزيدنا علما ويمنع المرأة من طلبه؟!. هذا ما لا يقل به الصبيان فضلا عن الفتيان.

د. **دفع المفاسد:**

هناك مسائل مهما برع الرجال فيها تبقى النساء أجدر من الرجال في ذلك العمل، خصوص في حقل الفقه التطبيقي (المسائل الخاصة في المرأة)، وكذلك في حقل الطب المتخصص بمسائل النساء، فتعليم المرأة هذا النوع من العلوم فيه دفع

مفسدة اختلاط الرجال بالنساء، ونبقى محافظين على عفة النساء من عدم عرضهن على الرجال، وإن كان هذا الأمر مباحا في حال الضرورة، لكن عند تعليم النساء ترتفع هذا الضرورة.

الشواهد والأدلة القرآنيـــة التي تثبت تعليم المرأة:

حينما نقرأ في أدبيات الأديان بشكل عام سواء كانت السماوية أو غيرها لم نجد ديانة من الديانات أعطت حقوقاً للمرأة كما أعطته شريعة الإسلام المحمدي الأصيل، وهذا جلي وواضح من خلال العديد من الآيات المباركة، ويمكن لنا أن نقسم تلك الآيات إلى قسمين: فقسم منها أشار إلى طلب العلم بشكل مباشر، والقسم الآخر يشير إلى ذلك بشكل غير مباشر، ومنها:

أولاً: مايشير إلى الطلب العلم بشكل مباشر:

الآية المباركة تسمى من قبل البعض بآية النفر: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٢]. فهذه الآية من الآيات التي يستدل بها البعض من المفسرين في الحث على طلب العلم، من خلال مايلي:

إنَّ مفردة (التفقه) المذكورة في هذه الآية المباركة تدل على تحصيل جميع المعارف الدنيوية والأخرويـــة، وتأمر بوجوب التعليم والتعلـــم للفرد المسلم، وكذلك تطلب من المتعلمين اتباع من يعلمهم، وكذلك تبين المكانة الكبيرة التي أولاها الإسلام لطلب العلم إذ يشير الشيخ مكارم بقوله: (لا شك أنّ المقصود من التفقه في الدين هو تحصيل جميع المعارف و الأحكام الإسلامية... ، وبتعبير آخر فإنّها أوجبت التعلم و التعليم معاً، و إذا كانت الدنيا في يومنا الحاضر تفتخر بسنّها التعليم الإجباري، فإنّ القرآن قد فرض قبل أربعة عشر قرنا هذا الواجب على المعلمين علاوة على المتعلمين)[١١].

فسد حاجة الأمة من العلوم والمعارف بمختلف قطاعاتهـــا يعتـبر من الأشياء الضرورية لأبنائهـــا (إذ لا بد للأمّة من التنوّع في سدّ الحاجات...، و ربما كان

في مقدمة ذلك الحاجة إلى المعرفة الدينية الشاملة التي تثير الوعي الديني المنفتح في واقع الناس)[١٢].

فالآية الكريمة لاتطلب النفرة من الجميع إلى الجهاد إلا في الحالات الحرجة التي تمر بها الأمة وتحتاج إلى جميع أبنائها (وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو و طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يثبطوا جميعاً)[١٣].

إنَّ المتأمل في الآية المباركة ومن خلال تتبعه لبعض التفاسير يجد أنَّ تتضمن عدة مطالب منها:

١. عدم نفرة جميع المسلمين، أي خروجهم إلى الجهاد.
٢. التفقه في الدين وما أنزل على الخاتم ﷺ.
٣. أنَّ المطلوب منهم في كلا الجانبين هو فرض كفاية.
٤. إنذار هؤلاء المجاهدين إذا رجعوا إليهم، وتبين لهم تعاليم الإسلام من أجل التبصر والاطلاع على ما يريده الشارع المقدس منهم ومالايريده.
٥. ومايهمنا في ماتقدم في بيان الآية المباركة هو أن خطاب الآية لعموم المسلمين، وخاصة في الشق الذي يحثهم على طلب العلم، وبالتالي أنَّ المراة جزءاً من هذا المجتمع الذي خوطب بما تقدم، فتكون مشمولة بهذا الحث.

ثانياً: الآية المباركة من سورة الأحزاب: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[سورة الأحزاب: ٣٤].

ففي خلال هذه الآية الكريمة، نلاحظ بأنَّ الله سبحانه وتعالى، يأمر نساء النبي ﷺ بالتذاكر في بيوتهن، فالآية الكريمة ابتدأت بعبارة تحمل صيغة الأمر (وأذكُرن)، فهي بمثابة التوجيه المباشر إلى نساء الخاتم ﷺ بذلك الذكر، وعدم الاكتفاء بالجلوس في بيت البيت المبارك للنبي الأكرم ﷺ، فلا بد من الذكر والتعلم لما يتلى من القرآن والحكمة في تلك البيوت، والذكر مايقابل النسيان، إذ يقول صاحب الميزان: (ظاهر السياق أن المراد بالذكر ما يقابل النسيان إذ هو المناسب لسياق التأكيد و التشديد

الذي في الآيات فيكون بمنزلة الوصية بعد الوصية بإمتثال ما وجه إليهن من التكاليف، و في قوله فِي بُيُوتِكُنَّ تأكيد آخر)[١٤]، والمراد من الحكمة وان اختلف المفسرون فيها، ولكن فيه إشارة الى المحتوى العميق و العلم المخفي فيه[١٥].

وقد سعت المرأة المسلمة إلى طلب العلم منذ بداية عصر النبوة، وروي أنَّ النساء كن يحتشدنَّ لسماع النبيﷺ ويحضرن الصلاة الجماعة معه من أجل التعلم، ونظراً لأنَّ صلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد، من أجل عدم الاختلاط والتزاحم، فقد خصص النبيﷺ لهن باباً يسمى (باب النساء)، ولازال هذا الاسم يطلق على الباب ذاته إلى الآن[١٦].

فمن خلال ماتقدم يمكن لنا القول:

بأنَّ الآية المباركة فيها حث على التذكير بحفظ القرآن وعدم نسيانه، وكذلك البحث في المحتوى الذي تشتمل عليه هذه الآيات المباركة، بالرغم من أنكن في هذه البيوت المباركة وهي بيوت النبي محمدﷺ، وهو مدينة لكل علم، ولكن لابد من الحفظ والحث على التعلم والخوض في محتوى تلك الآيات التي تشتمل على العديد من العلوم الدينية والدنيوية، وكتحصيل حاصل يمكن لنا الاستدلال بتلك الآية المباركة على طلب العلم والحث عليه لسائر نساء المسلمين.

وإضافة إلى ماتقدم فإنَّ تعليم المرأة في الإسلام ليس مجرد أمر مقبول، بل هو أمر مطلوب ومرغوب فيه، وينبغي المسارعة إليه، والسير بخطوات متقدمة وثابتة فيه، ووجود مثل هذه الحالة هو من علامات سلامة المجتمع البشري وسيره بالاتجاه الصحيح، فيقول بعض العلماء: (إنّنا نعتقد أنّ النساء في كلّ مجتمعٍ بشري سالمٍ قادرات وعليهنّ أن يجدن الفرصة لبذل الجهد والتسابق في مجال التقدّم العلمي)[١٧].

ثانياً: الآيات التي تدل على طلب العلم بشكل غير مباشر.

بعدما تطرقنا إلى الآيات المباركة التي يمكن أن نستشف منها على أنها تشير إلى ان طلب العلم حق من حقوق المرأة بشكل صريح وجلي، سنتطرق إلى

بعض الآيات التي تتكلم عن فضل العلم والتزكية ودوره في حياة الفرد المسلم، ويتضح ذلك من خلال عدة آيات يمكن ذكرها كالآتي:

١. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

فالخطاب في الآية الكريمة موجه لعموم المؤمنين المتلبسين بثوب الإيمان فقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ يشمل كل من آمن بالله ورسوله، وبما أنزل وبما فرض عليهم، فلم يكن الخطاب للذكور دون الإناث أو بالعكس، بل شمل الجميع، ثم يقول سبحانه: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾، توسعوا فيها، وليفسح بعضكم عن بعض. قيل: كانوا يتضامون بمجلس النبي ﷺ، تنافسًا على القرب منه، وحرصًا على استماع كلامه[١٨]، فالمولى تعالى يخبرهم في حالة القول لكم تفسحوا، ان تفسحوا المجال للآخرين: ﴿ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾، فيما تريدون التفسح فيه، وينقل القمي في تفسيره أنه: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقوم له الناس فنهاهم الله أن يقوموا له، فقال: (تفسحوا) أي: وسعوا له في المجلس، (وإذا قيل انشزوا، فانشزوا)، يعني إذا قال: قوموا، فقوموا[١٩].

ومن ثُمَّ ينتقل الخطاب إلى تعظيم، ورفع أهل الإيمان، بقوله: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾، ويذكر السيد الطباطبائي، بخصوص هذه الآية تعليقاً قيماً قائلاً: لا ريب في أن لازم رفعه تعالى درجة عبد من عباده مزيد قربه منه تعالى، و هذا قرينة عقلية على أن المراد بهؤلاء الذين أوتوا العلم العلماء من المؤمنين فتدل الآية على انقسام المؤمنين إلى طائفتين: مؤمن غير عالم و مؤمن عالم، و المؤمن العالم أفضل من غير العالم وهذا بين من خلال قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٩].

و يتبين بذلك أن ما ذكر من رفع الدرجات في الآية مخصوص بالذين أوتوا العلم و يبقى لسائر المؤمنين من الرفع

بدرجة واحدة، و يكون التقدير يرفع الله الذين آمنوا منكم درجة و يرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات[٢٠].

وحينما نقف على أسباب نزول بعض الآيات المباركة، وإن كانت لا تعطينا القدر المتيقن من السبب والتفسير، ولكنها تبقى قرينة من القرائن يمكن الاستفادة منها، إذ ينقل الطبرسي في تفسيره سبب نزول هذه الآية الكريمة قائلاً: عن ابن عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة، و أذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، و قال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، و قال سهيل بن عمرو أن يرد الله شيئا يغيره لغيره، و قال أبو سفيان إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله ﷺ، و سألهم عما قالوا فاقروا به ونزلت الآية و زجرهم عن التفاخر بالأنساب و الازدراء بالفقر و التكاثر بالأموال عن مقاتل[٢١].

والمتأمل بقول الله تعالى ربما يسأل عن السر وراء تلك الرفعة قائلاً: لماذا خص المولى تعالى أهل العلم بهذه الرفعة دون غيرهم، وإن كان الفرد عابداً، فقد يكون البد بقلبه مقبلاً على ربه أفضل من صاحب العلم؟.

يمكن الإجابة على ذلك، بالقول: إنَّ روح العبادة هي المعرفة، وهذه المعرفة تختلف من شخص لآخر، فكلما كانت لديه معرفة أكثر بالله سبحانه، كلما كان أكثر قربًا منه، فالعالم العارف مفضّل على غيره درجات[٢٢].

ويؤيد ما تقدم ما نقل عن الصادق، عن أبيه عليه السلام أن النَّبي ﷺ قال: (إن فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب، وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب)[٢٣].

والاقتداء بصاحب العلم مطلوب شرعًا عقلاً، وأنَّ هناك عدة أسباب تكمن وراء ذلك الاقتداء يمكن إجمالها بما يلي:

- لأنه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام و الشبهات.
- و يعرف بمحاسبة النفس أكثر من غيره.

- و يعلم من كيفية الخشوع و التذلل في العبادة مالا يعلمه غيره.
- و يعلم من كيفية التوبة و أوقاتها و صفاتها مالا يعرفه غيره.
- و يتحفظ فيما يلزمه من الحقوق مالا يتحفظ منه غيره[٢٤].

ونرى في خلال الحديث الوارد عن الرسول الأكرمﷺ والذي يعد في غاية الأهمية حيث يبين لنا مقام العالم وإنَّ منزلته كمنزلة الأنبياء والشهداء في مقام الشفاعة، فلا يكون هذا المقام لأي أحد باستثناء هؤلاء الثلاثة: فيقولﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشهداء»[٢٥].

فالمتحصل مما تقدم، أنَّ المولى سبحانه وتعالى، أعطى هذه المنزلة الكبيرة لصاحب العلم، دون أن يخصص فئة من الفئات أو جنس من الأجناس أو عرق من الأعراق، فكان خطاب الرفعة موجهاً لأثنين وهما: أهل الإيمان، وأهل العلم، وهذه المقامات أنَّما أعطيت لحامل العلم من قبل الله سبحانه، نظراً لمكانته عند المولى تعالى.

٢. ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة الزمر: ٩].

فالآيـة تشعر بالتوجيه من قبل الله سبحانه إلى نبيه الخاتم ﷺ حينما يقول له، (قل) أي: أخبرهم، ولكن بأي صيغة يخبرهم، فمن خلال الآية الكريمة يخبرهم بصيغـة الاستفهـام على وجه الإنكار عليهم (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ) الحق، و يعملون به، (وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) و لا يعملون به، فإنهما لا يتساويان أبداً (إِنَّما يَتَذَكَّرُ) في ذلك (أُولُوا الْأَلْبابِ) أي ذوو العقول[٢٦].

فمن خلال ما تقدم في الآية المباركة نستطيع القول: بعدم الاستواء بين الذين يملكون العلم من ناحية القيم والمبادئ مع غيرهم، لا يملكونه أصلاً، بل يتقدم أصحـاب العلم على أصحاب الجهل، عند المولى سبحانه وتعالى وسائر النَّاس، و ينطلقوا في رحابه، و يتعمقوا في أسراره ليحصلوا على الهدى من خلاله، و ليصلوا إلى معرفـة اللهَّ في وعي الإيمان، و حركة الالتـزام، و قد استوحى الإمام عليؑ هذا المعنى فقـال: «قيمة كل امرئ ما

يحسنه»[٢٧].

وهذه الأهميَّة الكبيرة التي جعلها المولى تعالى للعلم لم يستثن أحداً منها حتى خاتم الانبياءﷺ، الذي هو سيد الخلائق أجمعين وتلميذ السماء مما يدل على أهميَّة العلم ومالـه من اثر كبير في بناء النفس والمجتمعات، وخاصـــة أولئك الذين يبلغون مرتبة عالية من السمو والرقي في هذا الجانب، فقد ورد في الحديث: عن رسول اللهﷺ: أنه قال: ((مداد العلماء خير من دماء الشهداء))[٢٨].

ولقـد قرن المولى تعالى شهادتهـــم التوحيدية بشهادة الملائكة، حيث يقول جـل شأنـــه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، أما شهادة الملائكة للهّ بالوحدانية فلأنهم مفطورون على الإيمان، و المراد بأولي العلم هنا الأنبياء و جميع العلماء باللهّ الذين أقامهم مقام الأنبياء في الدعوة إليه سبحانه، و شهادة العالم تقترن بالحجة التي من شأنها أن تقنع طالب الحقيقة[٢٩].

وقد سعت المرأة المسلمة إلى طلب العلم منذ بداية عصر النبوة، وروي أن النساء كن يحتشدنَّ لسماع النبيﷺ ويحضرن الصلاة الجماعة معه من أجل التعلم، ونظراً لأنَّ صلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد من أجل عدم الاختلاط والتزاحم، فقد خصص النبي ﷺ لهن باباً يسمى (باب النساء)، ولازال هذا الاسم يطلق على الباب ذاته إلى الآن[٣٠].

وورد في بعض الأخبـــار عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك نأتك تعلمنا ممَّا علمك الله،، فقال لهن رسول الله: (اجتمعن يوم كذا وكذا في موضع كذا) فاجتمعن فأتاهن النبيﷺ فوعظهن وأمرهن وعلمهن مما علمه الله[٣١].

١. آيات التعليم والتزكية.

ذكر المولى تعالى مفردتي العلم والتزكية في موارد عديدة من كتابه تعالى، ومرة يقدم مفردة العلم، وأخرى بالعكس ويتبين ذلك في الآيات التالية:

- قوله تعالى في الآية المباركة من سورة الجمعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الجمعة: ٢].
- وفي الآية الكريمة من سورة آل عمران: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة ال عمران: ١٦٤].
- وردت آيات في القرآن الكريم تشير إلى أهمية القراءة وتأمر بها المسلمين والمسلمات، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل: ٩٨]، ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٤٥].

وفي هذه الآية الكريمة وأمثالها نجد بأنَّ البارئ سبحانه وتعالى يطلب من أنبياءه الأمور التالية: (التلاوة، التزكية، التعليم، الحكمة)، وكلها تصب في خدمة العلم، الذي يُقصد به بناء ذلك المخلوق البشري، الذي خلقة المولى تعالى وأرسل له العشرات من الرسل من أجل المساهمة في هدايته إلى طريق الحق، وإخراجه من الظلمات إلى النُّور، فتلاوة آيات اللهّ على النّاس، أي إيقاظ الأفكار و الأرواح في ظل الآيات الإلهية المبشرة و المنذرة، و سميت «التلاوة» على رأي البعض لأنها قراءة على وفق تتبع و نظم. وهي مقدمة لليقظة و الإعداد و التعليم و التربية. و لا تتحقق التربية إلّا بالتعليم و لعل التفاوت بين «الكتاب» و «الحكمة» في أن الكتاب يعني الكتب السماوية، و الحكمة تعني العلوم و الأسرار و العلل و النتائج الموجودة في الأحكام، و هي التي يعلمها النّبي أيضا. وأما «التزكية» و هو الهدف الأخير، و هي التطهير أيضاً، و بذلك يتلخص الهدف النّهائي من بعثة الأنبياء في دفع الإنسان على مسيرة التكامل «العلمي» و «العملي»[٣٢].

والشخصية الإنسانية تتكون من عقل وغريزة لذلك تحتاج إلى تربية،

والأنبياء هم المربون والمعلمون، وقد ذكر القرآن مسألة التربية والتعليم في أربعة مواضع باعتبارهما هدف الأنبياء، و في ثلاثة مواضع منها قدمت «التربية» على «التعليم» (البقرة، ١٥١ -آل عمران، ١٦٤ -الجمعة، ٢)، و في موضع واحد تقدم التعليم على التربية (آية بحثنا)، و نعلم أن التربية لا تتم إلّا بالتعليم. لذلك حين يتقدم التعليم على التربية في الآية فإنما ذلك بيان للتسلسل المنطقي الطبيعي لهما، و في المواضع التي تقدمت فيها التربية، فقد يكون ذلك إشارة إلى أنها الهدف، لأنَّ الهدف الأصلي هو التربية، و ما عداها مقدمة لها[٣٣].

و(يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ) نظاما لحياتهم و تشريعا لطقوس دينهم، يعلمهم. الْحِكْمَةَ و ما يرتبط بالحياة العملية من دساتير خلقية و آداب اجتماعية. ، (وَ يُزَكِّيهِمْ) ينمي فيهم روح الإيمـــان و الإرادة، و يربيهم على مكارم الأخلاق و يحولهم إلى طاقة هائلة لتعمير الحياة و بسط السلام و الرفاه في أرجاء الأرض[٣٤].

فالله سبحانه وتعالى ينقل لنا في كتابه الكريم بأنَّ من وظائف الأنبياء الأساسية هي التزكية والتعليم، ولو تدبرنا قليلاً بعد البيان الذي قدمناه للآيات الكريمة التي تتكلم عن كلا المصطلحين العلم والتزكية، نجد أن المولى تعالى قد أعطى لكلا المفردتين أهمية كبيرة والهدف من هذه الأهمية لما لهما من دور هام في بناء شخصية الفرد المسلم بشكل خاص والإنسانية بشكل عام.

ونلاحظ بأنَّ مفردتي التعليم والتزكية لم توظف من قبل النبيﷺ لفئة خاصة من المجتمع بل لكل من أرسل إليه، وبطبيعة الحال فهو يشمل أهم عنصر على وجه هذه البسيطة وهو العنصر البشري المكون من كلا الجنسين.

فما تقدم يدل على كمال كرم الله بعباده بأن علّمهم ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور لعلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وكادونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، لو لم يكن على دقيق حكمة

الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به[٣٥].

وبعد أنَّ عرفنا ارتباط العلم بالدين ومعرفة الله تعالى، وارتباطه بإتقان الأعمال ورشد المجتمع وأنَّ الجهل أساس الفساد... هل يمكن بعد ذلك كلّه تخصيص العلم بالرجل وسلبه عن المرأة؟.

إنّ اختصاصه بالرجل يعني أنّ الدين ومعرفة الله وإتقان الأعمال والرشد... كلّ ذلك مختص بالرجل!. وهذا ما لم يقله أحد. من هنا نجد الرواية عن النبيّ ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، ألا إنّ الله يحبّ بُغاة العلم».

فالعلم غير مختصّ بالرجل لأنَّ مبرّراته غير مختصّة به، فتعليم المرأة ليس أمراً غير ممنوع فحسب، بل هو أمر مطلوب وراجح.

إن تعليم المرأة في الإسلام ليس مجرد أمر مقبول، بل هو أمر مطلوب ومرغوب فيه، وينبغي المسارعة إليه، والسير بخطوات متقدمة وثابتة فيه، ووجود مثل هذه الحالة هو من علامات سلامة المجتمع البشري وسيره بالاتجاه الصحيح، فيقول بعض العلماء: إنّنا نعتقد أنّ النساء في كلّ مجتمعٍ بشري سالمٍ قادرات وعليهنّ أن يجدن الفرصة لبذل الجهد والتسابق في مجال التقدّم العلمي[٣٦].

الخاتمة:

بعد اتمامنا هذه المقالة بفضل الله تعالى، والتي تكلمنا فيها عن حق المرأة في التعليم من الناحية القرآنية وما الهدف من تعليمها، استطعنا الوصول إلى عدة نتائج تكمن وراء هذه الدراسة والتي يمكن إجمالها بما يلي:

١. اكتساب المعرفة: إنَّ اكتساب المعرفة للمرأة أمر مطلوب بنفسه.
٢. مقدمة العمل: فالعلم مقدمة ضرورية للعمل، بالرغم من أنَّ المرأة غير مطالبة بتأمين لقمة العيش.
٣. المساهمة في حل الكثير من مشاكل المجتمع، فالكثير من مشاكل المجتمع وخصوصاً مشاكل المرأة فيه ناتجة عن عدم العلم أو قلته.
٤. جوهر الإنسان: إنَّ الجوهر الإنساني يزاد نمواً وارتقاءً سواء كان ذكراً بكسبه للعلم، وكما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال سمعت

رسول الله ﷺ: (يقول طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانه، و اقتبسوه من أهله، فإنَّ تعلمه لله حسنة، و طلبه عبادة، و المذاكرة فيه تسبيح، و العمل به جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقة، و بذله لأهله قربة إلى الله)[٣٧].

٥. تعتبر المرأة ملقن للطفل دروس الحياة، وهي المعلم الأول، فيجب أن يُعني بتعليمها وتمرينها على حب الأمة والاعتقاد الحسن في الدين، والعمل بأحكامه.

٦. يعزز دورها في دفع عجلة التنمية ورقي المجتمعات.

٧. يساعدها في حماية ذاتها والقيام بأعمال كانت حكرًا على الرجال...

٨. إنَّ جهل الأم له دور كبير في التأثير على سلوكيات الأولاد والمبادئ التربوية...

فيبقى العلم هو السراج الذي يضيئ حياة الإنسان لينقله من الظلمات التي يعيش في كنفها إلى نور سراجه الوهاج. ومهما تزود ذلك الإنسان من العلم، فهو بحاجة إلى طلبه، فها هو الخاتم ﷺ بما يملك من عظمة وعلم يطلب من المولى تعالى التزود منه من خلال قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ولابد للفرد المسلم السير على سيرته والاقتداء بهديه في طلب العلم سواء كان ذكراً أم أنثى، فالمرأة سواء كانت أمًا أو أختًا أو زوجة أوبنتًا، فهي من تساهم في وضع حجر الأساس من أجل بناء مجتمعًا واعياً وسليماً يساهم في بناء الأمم ونهضتها.

الهوامش:

(١) أحمد بن محمد، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص٢٢٠. مادة : الحق.
(٢) إسماعيل بن أحمد ، الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٤٦، مفردة : حقق.
(٣) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص١٥. مفردة حق.
(٤) الراغب، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ، ص١٢٦.
(٥) كاظم، الحائري، فقه العقود، ج١، ص١١٢.
(٦) عبد الرزاق أحمد، السهنوردي، ج١، ص٢.
(٧) مجيد حميد، العنبكي، فكرتا المصلحة والحق، بحث منشور في مجلة دراسة قانونية صادرة عن بيت الحكمة، بغداد،١٩٩٩م، ص٣٨.
(٨) مصطفى أحمد، الزرقا، المدخل إلى نظرية الالتزام العامة، ص١٨.
(٩) المصدر نفسه، ص١٨.
(١٠) جمال عبود، الذيب، حقوق الإنسان زمن الحرب في الشريعة الإسلامية، ص٣٢.
(١١) ناصر مكارم، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٦، ص، ٢٦٨.
(١٢) محمد حسين، فضل الله، من وحي القرآن، ج١١، ص٢٤٢.
(١٣) فيض، الكاشاني، تفسير الصافى، ج٢، ص٣٨٩.
(١٤) محمد حسين، الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص ٣١٣.
(١٥) أنظر: ناصر مكارم، الشيرازي، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٤١.
(١٦) أنظر: صلاح عبد الغني، محمد، موسوعة المرأة المسلمة ، ج١، ص١٩٣.
(١٧) علي، الخامنئي، المرأة علم وعمل وجهاد، ص٤.
(١٨) البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد، تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٢٣.
(١٩) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج٢، ص٢٥٦.
(٢٠) الطباطبائي، محمد حسين، ج١٩، ص١٠٢.
(٢١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٩، ص.٢٠٢، الطبرى، محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى)، ج٢٨، ص١٤.
(٢٢) الشيرازي، ناصر مكارم، التفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، ج١٨، ص١٢٩.بتصرف.
(٢٣) المجلسي، محمد باقر، ج٢، ص١٩.
(٢٤) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج٢٩، ص٤٩٤.
(٢٥) المجلسي، محمد باقر، المصدر السابق، ج٢، ص١٥.
(٢٦) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن ،ج٩، ص ١٣.
(٢٧) نهج البلاغة، ، قصار الحكم: ٨١، ص٤٨٢
(٢٨) الصدوق، ابن بابويه، من لايحضره الفقيه، تحقيق: علي اكبر غفاري، ج٤، ص٥٧٤.
(٢٩) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٢، ص٢٦.

(٣٠) محمد، صلاح عبد الغني، موسوعة المرأة، ج١، ص١٩٣.
(٣١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٤.
(٣٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص ٣٨٥.
(٣٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٨٥.
(٣٤) المدرسى، محمد تقى، من هدى القرآن، ج١، ص٢٥٩.
(٣٥) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، ج٤، ص٣٦٨.
(٣٦) الخامنئي، علي، المرأة علم وعمل وجهاد، ص٤.
(٣٧) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص٤٨٨.

* * *

المصادر والمراجع:

القرآن.

١. ابن فارس، أبي الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دمشق، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني. تحقيق، عبد الباري عطية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٥هـ.

٣. الأيرواني، باقر، دروس في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري، إيران، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٣٢هـ.

٤. البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.

٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم المقدسة، مؤسسة آل البيت، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٦. الحويزي، عبد علي جمعه، نور الثقلين، قم المقدسة، إسماعليان، ١٤١٣هـ.

٧. الخامنئي، علي، المرأة علم وعمل وجهاد، بيروت، جمعية المعارف الإسلامية، ط١، ٢٠٠٣-١٤٢٤هـ.

٨. الخوئي، مباني تكلمة المنهاج السيد أبو القاسم الموسوي، قم المقدسة، المطبعة العلمية، ط٢، ١٣٩٦ هـ.

٩. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

١٠. السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، قم المقدسة،

مكتب السيد عبد الأعلي السبزواري، ١٤٠٩هـ..

١١. السبزواري، محمد، الجديد فى تفسير القرآن المجيد، بيروت، دار التعارف، ط١، ١٤٠٦هـ..

١٢. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، قم المقدسة، ١٤١٤هـ.

١٣. الشيرازي، ناصر مكارم، التفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، قم المقدسة، مدرسة الإمام علي ط١، ١٤١٢هـ -ق.

١٤. الصدوق، محمد بن علي، من لايحضره الفقيه، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ..

١٥. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم المقدسة، جامعة المدرسين، ١٤١٧هـ.

١٦. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، قم المقدسة، ناصر خسرو، ط٣، ١٤١٣هـ. ق.

١٧. الطبرسي، حسين النوري، مستدرك الوسائل، قم المقدسة، مؤسسة آل البيت، ط١، ١٤٠٨ هـ..

١٨. الطوسى، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق، أحمد قصير العاملي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، بدون سنة النشر.

١٩. الطوسي، محمد بن حسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الخرسان، تهران، الدار الإسلامية، ١٤٠٧.

٢٠. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم المقدسة، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـ.

٢١. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤١٢هـ-١٩٩٤م.

٢٢. الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، ط٣ بيروت هـ-ق ١٤٢٠.

٢٣. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع الأحكام القرآن، طهران، ناصر خسرو، ط١، ١٤١٥ هـ..

٢٤. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، قم المقدسة، دار الكتاب، ط٣، ١٤٠٤ هـ..

٢٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، غفارى على اكبر و آخوندى، محمد، قم المقدسة، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧.

٢٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ..

٢٧. المدرسى، محمد تقي، من هدى القرآن، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ط١، ١٤٠٩.

٢٨. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، الرياض، دار طيبة، ط١،، ١٤٢٧هـ. -٢٠٠٦.

٢٩. مغنيه، محمد جواد، التفسير الكاشف، قم المقدسة، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ..

٣٠. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، بيروت، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار النفائس، ط١، ١٤١٦هـ..

النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل، قم، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٠٨هـ..